(١٦) من أخلاقي

خُلُق التعاون

القصواء

هذا هو اسمي

ناقة من النُّوق

لكنني لست مثل كلِّ النُّوق!

فأنا ناقة شرفت بحمل رسول الله ﷺ.

وهو شرف عظيم.

هل تدرون معنى القرب من رسول الله ﷺ في وقت طويل كالسفر؟

إنها نعمة كبيرة وصحبة عظيمة.

وقد حباني الله وشرَّفني بهذه النعمة إذ كنت الأثيرة من بين النوق لدى رسول الله ﷺ.

وهذا بعض معنى اسمي، فمعنى القصواء: الناقة التي أقصاها صاحبها عن العمل والخدمة ولم يرسلها للمرعى، وذلك لسمو مكانتها عنده، ولكى تظل أمام عينيه لا تغيب عنها ليرعاها.

لقد كنت الناقة المفضلة عند رسول الله ﷺ وذلك بسبب قوتي وسرعتي وطبعي الأصيل.

لهذا كنت مطية الرسول ﷺ في كلِّ الأسفار، وحضرت معه كلَّ المواقف، في الهجرة، وفي الغزوات، وفي الحج والعمرة، وفي سائر المواقف.

لكم كنت سعيدة بهذه الصحبة، ولديَّ من القصص التي شاهدتها مع النبي الكثير والكثير!

هل أحكي لكم بعضها؟

أرى عيونكم تلمع شوقًا لقصصي الجميل، وسأختارُ لكم منها قصة طريفة ظريفة، فيها فوائد كثيرة، وهي تدور حول قيمة التعاون، فالإسلام يحبُّنا متعاونين، ويرغبنا في ذلك، ويحثنا عليه.

هل تعلمون يا أحبابي أن أول عمل قام بن النبي ﷺ في المدينة هو بناء مسجده الشريف، وقد تم بناء مسجد رسول الله ﷺ بالتعاون؟

إي والله، بُني بالتعاون!

ولأقصَّ عليكم قصة ذلك من البداية.

خرجنا من مكة في الهجرة قاصدين إلى المدينة، كان أبو بكر الصديق قد أعدَّ راحلتين واحدة له والأخرى لنبينا ﷺ، لأجل الهجرة عليهما، وأخبر النبيَّ ﷺ بأن راحلته هديّةً منه، لكنَّ النبي ﷺ رفض أن يأخذها إلا شراءً بالثمن، فدفع ثمنها لأبي بكر وأخذها، وهكذا يا أحباب ركب أبو بكر واحدة وركب نبينا الأخرى، وهذه التي ركبها النبي هي أنا، ناقته القصواء، ومن يومها لم أفارقه ﷺ حتى رحل عن الدنيا.

مضينا في طريق الهجرة حتى وصلنا المدينة بعد أيام وليال، وفي المدينة كان المسلمون ينتظرون وصول النبي ﷺ، فلما رأوه وسلموا عليه كان كل واحد منهم يرغب أن ينزل

النبي ضيفًا عليه، يجلس في بيته فيستريح ويأكل ويشرب، وكانوا جميعًا كرماء شديدي الكرم.

كان النبي ﷺ يمضي في طريقه والناس يمسكون بزمامي يريدون أن أقف وأن ينزل النبي ضيفًا عندهم فكان يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة!

لقد كان يُمضَى بي إلى غايتي وأساق إلى هدفي، إلى أن مررنا بدار بني مالك بن النجار، فبركتُ على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مكان خرب يملكه غلامان اسمهما سهل وسهيل، وكان فيه نخل ومكان تبيت فيه الأغنام.

في هذا المكان توقفتُ ثم بركتُ، لكن رسول الله ﷺ بقي على ظهري ولم ينزل، فقمت ومشيت غير بعيد ولم يثنني ﷺ، ثم التفتُّ خلفي ورجعت إلى مكاني الأول، فبركت واستقر بي المقام، فنزل رسول الله ﷺ عني.

وجاء أبو أيوب الأنصاريُّ فحمل أمتعة رسول الله ﷺ وأشياءه وذهب بها إلى داره، فنزل رسول الله ﷺ ضيفًا عليه،

وهناك سأل عن المكان الذي توقفنا فيه وأراد أن يتخذه مسجدًا، فاشتراه من بني النجار بعد أن وهبوه له دون ثمن فأبى قبوله.

دفع النبي ﷺ ثمن المكان وأخبر الصحابة رضوان الله عليهم بأنَّه سيبنيه مسجدًا وفرح الصحابة فرحًا كبيرًا، وبدأوا في التعاون لتنظيف المكان وبناء المسجد.

ويا للعجب من هذه الروح التي كانت تجمعهم، والألفة التي كانت تربط بينهم، والتعاون الذي جعلهم كرَجلٍ واحد تساعده رجلاه ويداه وسائرُ أعضائه!

لقد كانوا كثيرين في العدد لكنهم في العمل كأنهم واحد، يساعد بعضهم بعضًا ويعاون بعضهم بعضًا.

كان بعضهم يقلع الحشائش من الأرض ومن ورائهم آخرون يحملونها إلى خارج المكان وغيرهم يحملها على ناقته أو فرسه إلى خارج المدينة، ثم قاموا بتنظيف المكان وتجريفه وحفره، وزرعوا جذوع النخل أعمدة يقوم عليها البناء، وبينها بنوا الجدران من الحجارة، وفوقها وضعوا السقف من الجريد.

لقد ساهم الجميع في بناء المسجد، وساهم نبينا ﷺ في بنائه بنفسه، فكان ينقل الطوب اللَّبِن والحجارة ويقول:

اللّٰهُمَّ لا عيش إلا عـيش الآخـرة
فـــاغفر للأنصـــار والمهـــاجرة

وكان يقول:

هذا الحِمال لا حمال خيبر هـــذا أبـــر ربنـــا وأطهـــر

وكان عمله ﷺ مما يزيد نشاط الصحابة في البناء حتى إن أحدهم ليقول:

لـئن قعـدنا والنبـيُّ يعمـل لـذاك منَّـا العمـل المضـلَّلُ

وقد عمل المسلمون جميعهم في المسجد حسبة لله عَزَّوَجَلَّ لم يتقاضوا على عملهم أجرًا.

وهكذا تمَّ بناء مسجد رسول الله ﷺ بالتعاون، والتآخي، والمساهمة، فالتعاون خلق إسلامي أصيل.